رسالة في تقاليد أهل الطرق

جاءنا من أحد علماء تونس المصلحين ما يأتي

الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله

حضرة العلامة الاستاذ المشهور السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الغراء أمده الله بروح من عنده ، ومنحه من الاعانة على الارشاد ما لا ينبغي لأحد من بعده ،

سعد حظي أيدكم الله بما أمتنتم به عليّ من اعتباركم لي مشتركا في مجلتكم التي تقشع بمظهرها سحاب الضلال ، والبدع التي أحدقت بالأمة ذات اليمين وذات الشمال ، والخرافات التي انصبغت بصبغة الدين ، والأوهام التي لعبت بعقول أولئك الجامدين ، فتبارك الذي أيقظ همتك لارشاد أمتك فأوضح للساري بمنارك المحجة « ومن يهد الله فما له من مضل » سيما وقد شفعت ذلك بفتح باب الاسئلة للمسترشد ولعمري إنك قد آتيت بذلك من كنوز السعادة للأمة ، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ، وقد حملني فضلكم هذا على تقديم أسئلة لاعتابكم الكريمة

خرجت في بعض هذه الأيام الأخيرة قصدا لأداء صلاة العشاء مع الجماعة فما برحت مكاني حتى سمعت اصواتا مرتفعة وقد رجت الارض رجا فحسبت أن آخرة احتبست فيها فنشأ عنها زلزال فكثر لغط القوم على ما أعرفه عنهم عند حدوث الزلزال ولم يزل ظني كذلك حتى دخلت المسجد فوجدت فيه عددا كثيرا من نوع الانسان ينيفون على الخمسين يذكر الله ويرقص ويصفق بيديه وقد تصبب جبينه عرقا فعلمت أن رجة الارض من وطأة قدميه فسألني شقيقاي المشهوران عن ذلك فكان جوابي « الجنون فنون » فأعادا علي السؤال : كيف يسعى في جنون من عقل ؟ فقلت وأنى لهم بالعقل ولو كانت لهم منه مسكة لما فكروا في مثل هذا وتجرءوا على معصية الله في بيته . هلا انفرد كل منهم بنفسه وذكر الله تعالى كما أمره بقوله في واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من

القول ﴾ وهذا ان لم يكن لهؤلاء المجانين شغل تسجل متفقته والا فليحملوا فوق هذه الاوزار أوزارا ، وليستعدوا العذاب المضاعف يوم لا يجدون من دون الله أنصارا ، ألم تروا أن قضاء الفوائت واجب على الفور الا في مواضع حسبوا منها الاشتغال بحرفة يحترف المرء بها

ثم ليت شعري أية فائدة ونتيجة في اجتماعهم هذا وترديدهم كلمة التوحيد؟ أن نطقت بها ألسنتهم فقد جحدتها أفعالهم باتخاذ الوسائط وليتهم أدركوا حقيقتها وتركوها ونفسها

عجبا لهم اتخذوا رسالة في التوحيد لدفين مكناس الشيخ محمد بن عيسى يتلونها بعد صلاة المغرب كل ليلة ولو سئلوا عن برهان الوحدانية لم يكن جوابهم الا السكوت أو الاستناد الى أن ذلك اعتقاد الأقدمين من آبائهم مع أن مذهب المؤلف عدم نجاة المقلدين ، وهو الحق الذي تقتضيه طبيعة الدين ، وان خالف في ذلك أقوام ، بنوا مذهبهم على الخرفات والأوهام ، والعمل برأي ليست في الحقيقة الا أضغاث أحلام ، سألت بعض التالين لهذه الرسالة عن معنى قول المؤلف « تنزه عن المكان » فقال اني أتلو هذه الجملة نحو ثلاثين سنة وسمعنا من قبلك أساتذة أكبر علما وسنا فلم يسألنا واحد منهم هذا السؤال ، ولم يكلفنا بمثل هذا المقال ، فان كلام الأولياء لا تصل اليه الأفكار ، ولا تتوجه نحو ادراك حقيقته الأنظار ، اللهم الا ممن عميت بصائرهم ، وطمست سرائرهم ، وقال سبحانك أعوذ بك من هؤلاء الضالين ، فقلت اذا كان الأمر كذلك أفيحسن بك أن ترد ما لا تفهم ثم أعرضت عنه فلاطفه أحد شققي حتى أوصله الى معنى الجملة على بساطتها بأوضح برهان ، وأحسن تبيان ، فكان خلاصة قوله بعد ذلك التقرير انا اعتقد ان الله عز وجل في السماء مستدلا بحكاية عن عجوز كانت ترفع بصرها الى السماء كل صباح وتقول عم صباحا يا مولانا ورؤيت بعد موتها وعليها ثياب خضر

وامل أطلت ذيل المقال ، في الكلام على هؤلاء الجهلة من أرباب الضلال ، حتى خرجت بذلك عن دائرة السؤال ، الى دائرة الشكي من هذه الاحوال ، فسم الاستاذ المسترشد ، مع عدم الوقوف على المقصد ،

أقول اني صدعت بما أظنه الحق لما رأيت ذلك المنكر فقلت تالله ماهذا من الدين أيها الناس أين أنتم من صفة السمع « أربعوا على أنفسكم فانكم لاتدعون أصم ولا غائبا » وكان جوابهم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) قلت (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) ثم نادوا بصوت عال : أين أنت ياقطب مكناس والجرس الاكبر بديوان الصالحين والغوث المتصرف في السماوات والارض مزق هذا المعترض كل ممزق : فقلت أنتم وايم الله تشركون من حيث لاتشعرون أتدعون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم وما القطب والجرس والغوث الا كلمات تدل على معان يعرفها اللغوي فجعلتموها أعلاما لافراد أكلت الارض اجسادهم . أقول لكم ولا أخشى لومة لائم (إن هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)

تزعمون انكم مسلمون وقد دعوتم غير الله تعالى

تزعمون انكم مسلمون وقد اتخذتم لله وزراء وعمالا سميتموهم بأهل الديوان . أهذا الديوان عندكم مجلس نواب الامة ، فردوا علي اللعنة ثم قالوا نجتمع ليلة النصف من شعبان تلك الليلة الفضلى وندبح بقرة امام زاوية هذا القطب الكامل وندعو عليه فيموت ببركة الشيخ ابن عيسى . فقلت وما فضل ليلة النصف من شعبان ان هي الا ليلة كسائر الليالي نرى القمر فيها كاملا كما نراه في غيرها . إن زعمتم أنها الفضلى بما أن الارزاق والآجال تقدر فيها كما تقولون فاعلموا أن أفعال الله تعالى منزهة عن العبث والارزق والآجال قدرت من قبل ان يخلق الكون فلا معنى لتقديرها تلك الليلة مرة ثانية . وان زعمتم أنها الفضلى بما ان الله يستجيب دعاء المتضرع فيها ولا بد فنقول لكم أعندكم على ذلك دليل أم تقولون على الله مالا تعلمون

سيدي هل في كلماتي هذه ما يوجب المروق من الدين ، والكفر بالله رب العالمين ، وخاصة القوم على اهراق دمي متفقون ، فأوضح لي سبيل الصواب أيها المرشد الكبير ، والمنصف الذي لن يجد الحق دونه من نصير ، ودونك من الوالد

والشقيقين سلاما ، وتحية كواهلها اجلالا لمقامكم واعظاما ، ومن الحقير مثل ذلك على ما تعلمون من صدق الوداد ، والخلة الثابتة أصولها بسويداء الفؤاد ، وكتب في ٢٠ جمادى الاخيرة سنة ١٣٢٤ ح . ي .

(المنار) نشرنا هذا في باب المناظرة والمراسلة لا في باب الفتاوى لانه رسالة مفيدة في التنديد بالبدع والشكوى من الجهل والميل الى الاصلاح ولا نرى السؤال فيه الا من قبيل استفهام التعجب والا فأي شبهة في الكلام يبنى عليها تكفير المتكلم ؟ أقوله ان دعاء غير الله شرك بالله ؟ كيف وهذا ليس من الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل وانما هو أشد الشرك وأظهره وأجلاه ونصوص القرآن في ذلك لا تحتمل التأويل ولا التحريف . نعم ان الذين يرون لأنفسهم رياسة دينية باعتقاد العامة عليهم وصلاحهم يسهل عليهم تكفير كل من خالف أهواءهم وتقاليد العامة التي تتركأ في بدعها عليهم وهم يتحرون رضاها لما لهم من الفائدة في ذلك وان كانوا يقولون اننا لا نكفر أحدا من أهل القبلة الا اذا جحد ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة من غير تأويل ولا زم المذاهب ليس بمذهب

هذا وان كان الكاتب قد يلام على خطاب العامة بما يفرهم من قبول كلامه ، ويحول دون فهم مرامه ، وكان يجب أن يأتيهم من ناحية الاقناع ويحتج عليهم بكلام من يعتقدون ولايته على ابطال خرافاتهم الصريحة ثم ينتقل منها الى ماهو دونها بالتدريج ولكل مقام مقال وانما يخاطب الناس على قدر عقولهم فعسى أن يراعي ذلك بعد ويتحاشى المبالغة في كل شيء فقد انتقدت عليه قوله « لا ينبغي لاحد من بعده » وقوله « أعتابكم » وقوله « ولن يجد الحق دونه من نصير » والله يؤيدنا ويؤيده ، ويسددنا ويسدده ، وعليه وعلى والده وشقيقيه السلام .

وقد جربنا هذه الطريقة في نصيحة العامة فرأينا فائدتها بأعيننا واختبارنا نعم ان مشايخ الطريق الذين يعيشون بأكل السحت وخداعة العوام قلما يسمعون أو يعقلون فينبغي الاعراض عن مكابرتهم ، والموعظة التي تقنع مقلديهم بفساد حالتهم